العلامة بين الاعتباطية والتّعليل

د/أحمد طيبي
أستاذ محاضر قسم " أ "
قسم اللّغة العربية وآدابها
جامعة الدّكتور مولاي الطّاهر بسعيدة- الجزائر

ملخّص المقال:

Depuis toujours L'intérêt du signe ne c'est pas limitée à des études récentes, mais il est enracinée dans l'histoire de la pensée philosophique dans diverses manifestations. L'existence dusigne, comme la première étape dans siamoise (processus de production des significations et ses utilisations), peut être attribué à l'expérience humaine globale qui se résume à toutes les tentatives possibles qui permettent d'épargner des conséquences d'une nature impitoyable. L'être humain a toujours besoin dans sa vie d'une astuce de connexion entre son univers et le monde extérieur peut avoir accès à un climat de culture symbolique ou de compassion. Et dans le but de faciliter les modalités de compréhension et pour arriver à l'accès de toute les interprétations possibles des phénomènes naturels et sociaux de tous et aidé à comprendre et classer ce qui l'entoure, et lui montre comment localiser de lui-même et d'autres.

إنّ الاهتمام بالعلامة ليس وقفاً على الدّراسات الحديثة ، ولكنّه يضرب بجذوره في تاريخ التّفكير الفلسفيّ بمختلف تجليّاته ، فوجود العلامة ، باعتبارها اللّبنة الأولى في السيميوز (السيرورة المنتجة للدّلالات وتداولها) ، يمكن ردّه إلى التّجربة الإنسانيّة بأكملها ، إلى محاولات الإنسان المجهدة للتّخلص من معطيات طبيعةٍ هوجاء لا ترحم ، إلى حاجة الإنسان في حياته إلى وسيطٍ يوصل بيْنه وبين عالمه الخارجيّ يمكّنه من الوُلوج إلى عالمٍ ثقافيٍّ رمزيٍّ سيَهَبه الدّفء والحنان وييسّر له سُبل الإدراك والوصول إلى التّفاسير الممكنة للظّواهر الطّبيعيّة والاجتماعيّة على حدٍّ سواء ، ويساعده على فهم وتصنيف ما يحيط به ، ويبيّن له كيفية تحديد موقعه منْ نفسه ومن الآخرين .

فالتّسمية والتّرميز والتّمييز بين المفاهيم والوجه المادّي للوقائع ، تنقل الفرد منْ مرحلة المادّية والطّبيعة إلى مرحلة الثقافة واكتساب الدّلالات من خلال استدعائه الموضوعات الغائبة والغائرة في الزّمان والمكان بواسطة استبدالاتٍ مختلفةٍ مثل العلامات والرموز والصور الذهنيّة والمفاهيم وما إلى ذلك ، " فالعلامة توجد كلّما استعملَ الإنسان شيئاً ما محلَّ شيءٍ آخر " كمايقول إيكو، أو كما قال العرب " كوْن الشّيء بحالة ، يلزم العِلمُ به العِلمُ بشيء آخر " .

إن التّوسط الرّمزيّ دشّنَ طوراً جديداً على مستوى الروح والعقل لدى الإنسان ، فهو الحالة المثلى التي مكنتْه من اكتشاف نفسه ووعيها خارج حدود التّطابق الوجوديّ بينه وبين محيطه ، وبالتّالي الانْفلات من الطّبيعة والاحتِفاء بالثّقافة وإيقاعها المتميِّز الذي لا يتوقَّف عند حدود اللّغة فحسبْ ، بلْ يشمل الحالات والمواقع والعلاقات الاجتماعيّة

والملابس ، التي حوّلها الإنسان من حالتهـــا الخام إلى حالةٍ ثقافيّة يغيب معها " صرْح المرجع " حتّى تكون قادرةً على حمل تجرُبته .

ومنْ هنا كانتْ السّيميائيات ذلك " العم العام " ، الذي يهتمّ بدراسة الأنساق الرّمزية اللّسانية وغير اللّسانية منْ منطلق أنّها لغـاتٌ تسعى إلى تسمية الواقع وتمثيله ، وتحديد نوع العلاقة الّتي تربط بيْن العلامة ، بمفاهيمها المجاورة (الإشارة ، والقرينة ، والمؤشّر ، والرّمز) ، ومرجعها أو بين اللّغة والواقع ، لفهْم المسارات الملتوية والمعقّدة لطبيعة العلامة وكنهها بوصفها بديلاً عنْ تجربةٍ محسوسة .

فإذا اتّفق أنّ الاعتباطيّة في المقاربـات السّيميائيّة المعاصرة ، هي مفهومٌ مقابلٌ لمفهوم التّعليل ، فكيْف يمكن تصوُّر العلاقة بين العلامـة ومرجعها ، هل هـي مؤسّسةٌ دائماً على الاعتباطيّة وفق مواضعاتٍ اجتماعيّةٍ ومُعطياتٍ تداوليّة أمْ على التّعليليّة ؟

وهلْ هناك معاييرٌ محدّدةٌ تأخذ بأيدينا إلى الممايزة بيْن هذين الضّربيْن من العلامات ، ونستطيع بواسطتها أنْ نتَعرّف إلى درجات الاعتباطيّة والتّعليليّة فيها ؟

إنّ وجود العلامة ، باعتبارها اللّبنة الأولى في السيميوز (السّيرورة المنتجة للدّلالات وتداولها) [1] ، يمكن ردّه إلى التّجربة الإنسانيّة بأكملهـا ، إلى محاولات الإنسان المجهدة للتّخلص منْ مُعطيات طبيعةٍ هوجاء لا ترحم ، إلى حاجة الإنسان في حياته إلى وسيطٍ يوصل بيْنه وبين عالمه الخارجيّ يمكّنه من الوُلوج إلى عالمٍ ثقافيٍّ رمزيٍّ سيَهَبه الدّفء والحنان وييسّر له سُبل الإدراك والوصول إلى التّفاسير الممكنة للظّواهر الطّبيعيّة والاجتماعيّة على حدٍ سواء ، ويساعده على فهم وتصنيف ما يحيط به ، ويبيّن له كيفية تحديد موقفه منْ نفسه ومن الآخريـن [2]، يقول كاسيرر : « العلامـــة أصبحت مبدأ العالـم والمبدأ الأول في المعرفة الإنسانيـة . » [3]

وإذا كان « السّبيل لتفسير النّظام الكوني هو عالـم الإنسان لا عالم المادّة » [4] فإنّ التّسمية والتّرميز والتّمييز بين المفاهيم والوجـه المادّي للوقائع ، تنْقل الفرد منْ مرحلة المادّية والطّبيعيّة إلى مرحلة الثقافة واكتساب الدّلالات منْ خلال استدعائه الموضوعات الغائبة والغائرة في الزّمان والمكان بواسطة استبدالاتٍ مختلفةٍ مثل العلامات والرّموز والصّور الذهنيّة والمفاهيم وما إلى ذلك [5] ، « فالعلامة توجد كلّما استعملَ الإنسان شيئاً ما محلَّ شيءٍ آخر » كمايقول إيكو [6] ، أو كما قال المناطقـة العرب « كوْن الشّيء بحالة ، يلزم من العِلم به العِلمُ بشيء آخـر. » [7]

فالإنسان " حيوانٌ رمزيّ " [8] لا يمكن أنْ تقوم له قائمةٌ إذا لم يخلُق علاماته الخاصّة التي يعتمدها في تبادل الدّلالات ونقل المعرفة حين تواصله مع غيره منَ الأفراد المنتمين إلى بني جنسه على وجه الخصوص .

إن التّوسط الرّمزيّ دشّنَ طوراً جديداً على مستوى الرّوح والعقـل لدى الإنسانتمييزاً له عن الكائنات الأخرى .فهو الحالة المثلى التي مكنتْه من اكتشاف نفسه ووعيها خارج حدود التّطابق الوجوديّ بينه وبين محيطه ، وبالتّالي الانْفلات من الطّبيعة والاحتِفـاء بالثّقافة وإيقاعها المتميِّز الذي لا يتوقَّف عند حـدود اللّغة فحسبْ ، بلْ يشمـل الحالات والمواقع والعلاقات الاجتماعيّة والملابس التي هي أشكالٌ رمزيةٌ أودعهـا الإنسان تجربته فتحوّلـت منْ وضعها الخـام [9] إلى وضعٍ ثقافيٍّ يغيب معه " صرْح المرجع " حتّى تكون قادرةً على حمل تجرُبته وإيصالها إلى الآخرين ، يقول

إيكو في هذا الشّأن : « العلامة هي الشّكل الرّمزي الأمثل الذي يقوم بدور الوسيط بيْن الإنسان وعالمه الخارجيّ ، وهي الأداة التي يستعملها في تنْظيم تجربته بعيداً عن الإكراهات التي يفرضها الاحتكاك المباشر مع مُعطيات الطبيعة الخام . بل يمكن القول ، إنّ العلامة هي الأداة التي منْ خلالها تأنْسنَ الإنسان وانفلت منْ ربَقة الطّبيعة ليلج عالم الثقافة الرّحب الذي سيهبه طاقات تعبيريّة هائلة . »[10]

فالإنسان لا يتّصل بالطّبيعة اتصالاً مباشراً ، وإنّما يلامسها بأفكاره ومفاهيمه المجرّدة التي تخوّل له ، هي وحدها ، التّعرف على مكوناتها وتنوعاتها وإدراكها واستيعابها ، ممّا يسعفه على الحكم عليها والتّحكم فيها بعد الإمساك بقواعد اشتغالها ثمّ وضعها في إطارها التّصنيفي الأنسب القابل للتّبادل . ولا يمكن الحديث عن التّجريد بدون وجودٍ للعلامات [11] ، فكلّ التأمّلات الفكريّة حول هذا الكوْن [12]الذي نعيش فيه ، باعتباره نسقاً رمزيّاً ، مردّها الحقيقيّ إلى الواقع العلامي الذي أفرزته الممارسة الإنسانيّة في تفاعلها الحيّ مع محيطها الطبيعيّ بغية فهمه وفهم طبيعة الأشياء المتعلّقة به . فالفكر إذا اعتبرناه« تطرّق الذّهن لمعرفة مجهولٍ منْ معلوم » كما يرى ابن باجة [13] ، فإنّه يغدو مستحيلاً في غياب العلامات ، ومنْ هذا الوجه ، فإنّه يصطبغ بصبغةٍ سيميائيّةٍ منْ مُنطلق أنّ كلّ عمليّةٍ تفكيريّةٍ هي آليةٌ يحرّكها وجودٌ لعلامات .[14]بلْ يمكننا الجزم أنّ التّفكير بأكمله « ليس شيئاً آخر غير تلك القدرة على وَضْع تمثيلاتٍ للأشياء وعلى استخدام هذه التّمثيلات » [15]كما يرى إميل بنفنيست .

ولمْ يكن الاهتمام بالعلامة بوصفها بؤرة السيميائيّات وليد العصر الحاضر، ولكنّه يضْرب بجذوره في أعماق التّفكير الإنسانيّ بمختلف مشاربه الثّقافيّة ومنذ لحظاته الأولى ، فكانتْ مركز تفكير الإنسان القديم ، فشغلته واشتغل بها ، فملأتْ وجوده بأكمله عندما ارتبطتْ بكلّ نفَسٍ أوْ حركةٍ تصدر عنه . فالضّحك والبكاء والفرح واللّباس والطّقوس الاجتماعيّة والأشياء التي يتداولها ، و مختلف مظاهر الوجود اليوميّ له ،كلّها في الأصل والاشتِغال علاماتٌ تحتاج إلى الاهتمام والالتفات إليها منْ أجل الكشف عن طريقتها في إنتاج المعاني والدّلالات. [16]

بلْ إنّ الكون كلّه يَمْثُل أمامه في صورة شبكةٍ واسعةٍ من العلامات ؛ تشتغل باعتبارها علامات ، وتدلّ باعتبارها علامات ، وتدرك بوصفها كذلك أيضاً

ولنا في الأعمال الفلسفيّة المشهورة أحسن دليلٍ على ذلك ، إذ تركزتْ ، في معظمها ، على دراسة العلامة بوصفها الوسيلة التي مكّنتْ الإنسان من الانفصال عن طبيعةٍ صماء يميّزها الجمود والتّحجّر إلى عالمٍ ثقافيٍّ مفعمٍ بالحيويّة والنّشاط ، بلْ يمكن القول إنّ فلسفة اللّغة ابتداءً من الرّواقيّين إلى كاسيرر ، ومنْ فلاسفة القرون الوسطى إلى فيكو، ومن القدّيس أوغستين إلى فتغشتاين ، لم تتوقف عن الاستفسار حول أنساق العلامات ، وتقديم طروحاتٍ تصبّ في صُلب السيميائيات .[17]

وكان لعلماء العرب والمسلمين وبخاصّة الأصوليّين ومنْ خلال تأمُّلاتهم الأنطولوجيّة والدّلالية والمنطقيّة التي يحدّد إطارها ، في الأعمّ الأغلب ، النّص القرآنيّ الذي يدْعوهم صراحةً، منْ خلال كثيرٍ من الآيات : ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ [18] ، ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾[19]إلىالتّأمّل في ملكوت السّماء والأرْض (الكون) والتّدبّر في مخلوقات الله باعتبارها "

علامـاتٍ " حسيّةً حاضرةً تدلّ في الواقع المدرك على حقيقةٍ مجرّدةٍ غائبةٍ [20] هيوجوده وقدرته والاهتداء بواسطتها إلى الحقّ دورهم في بلورة أفكارٍ ومتصوراتٍ علميّةٍ دقيقةٍ تصبّ في عمق النّظريّة السيميائيّة .[21]

وابتداءً من القرن الثّامن عشر بدأتْ تتحدّد معالم نظريّةٍ مكتملةٍ حول العلامة مع السّيميائيين الأوائل أمثال : جون لوك ، ولايبنيز ، وكوندياك وغيرهم ، المنشغلين بالعلامة بمختلف تجلّياتها في ارتباطها بالسلوك الإنسانيّ عامّةً بدْءاً من الانفعالات البسيطة ، إلى الأنساق الأيديولوجيّة الكبرى .

ومنْ هنا كانتْ السّيميائيات ذلك " العلم العام " ، الذي يهتم بدراسة طبيعة الدّلائل[22]والأنساق العلاميّة اللّسانيّة وغير اللّسانيّة التي يستعملها العقل منْ مُنطلق أنّها لغـاتٌ تسعى إلى تسمية الواقع وتمثيله ، وتحديد نـوْع العلاقة الّتي تربط بيْن العلامة بمفاهيمها المجاورة [23] (الإشارة ، والقرينة ، والمؤشِّر ، والرّمز) ومرجعها أوْ بين اللّغة والواقع ، لفهم المسارات الملتوية والمعقّدة لطبيعة العلامة وكنْهها بوصفها بديلاً عنْ تجربةٍ محسوسة .

فإذا اتّفق أنّ الاعتباطيّة ، في المقاربات السّيميائيّة المعاصرة ، هي مفهومٌ مقابلٌ لمفهوم التّعليل ، فكيْف يُمكن تصوُّر العلاقة بين العلامة ومرجعها ، هلْ هي مؤسّسةٌ دائماً على الاعتباطيّة وفق مواضعاتٍ اجتماعيّةٍ ومُعطياتٍ تداوليّة أمْ على التّعليليّة ؟

وهلْ هناك معاييرٌ محدّدةٌ تأخذ بأيدينا إلى المميزة بيْن هذين الضّربيْن من العلامات ، ونستطيع بواسطتها أنْ نتَعرّف إلى درجات الاعتباطيّة والتّعليليّة فيها ؟

إذا كانتْ السيميائيّات الحديثة في مفهومها العامّ ، ووفقاً لاهتمامها بدراسة السّلوك الإنسانيّ ، ليستْ شيئاً آخر غير كونها تساؤلاتٍ متنوّعةً حول المعنى [24] ، أيْ حول الطّريقة التي ينتج بها الإنسان معانيه ، وأيضاً الطّريقة التي يستهلك بها هذه المعاني [25] ، فإنّه من المؤكّد أنّ المعرفة الإنسانيّة بأكملها قد ارتبطتْ ، ومنْذ القديم ، بالمعنى ، منذ أنْ بدأ الاستفسار حول نوع العلاقة التي تربط اللّغة بالفكر ، أيْ تربط المفاهيم والرّموز بالأشياء المشكِّلة للواقع . ومنه لا يمكن بلورة تصوّرٍ واضحٍ لمفهوم العلامة دون تحديدٍ لعلاقتها بهذا المعنى . [26]

والمعنى أو الدّلالة ، بين هذا وذاك ، هو حصيلة العلاقات الممكنة بين العلامة وعناصرها ، تلك العلاقات المميِّزة للسّلوك السّيميائيّ هي التي تقود إلى إنتاج المعنى وتداوله .

وهذه العلاقات الداخليّة بين أجزاء العلامة التي تشْتغل كنسقٍ جليٍّ هي ما يشكِّل (السّيميوز) أيْ (السّيرورة الدّلاليّة) عند بيرس ، أوْ (الوظيفة السّيميائيّة) عند يالمسلاف ، وهي تتطلّب حضور ثلاثة عناصر [27] ؛ (دال / ممثِّل) باعتباره أداة المعرفة الأولى ، هو عبارة عن كيانٍ رمزيٍّ يشتغل كتمثيلٍ يحيل على شيءٍ آخر ، و(مرْجع / موْضوع) يمثِّل الموضوع الذي يستند إليْه التّمثيل من أجل إنتاج الصّورة الذّهنيّة ، وهو ما يشكِّل أساس المعرفة ، ثمّ (مدْلول / مؤوّل) كمفهوم يحوّل الموضوعات إلى صورةٍ ذهنيّةٍ تُغني عن الوقائع ، تَستوعب الكون من خلال ثلاثة مستويات : ما يلاحظ بالعيان ، وما يترسّم في الأذْهان ، وما يوظّف منْ خلال الاستعمال . وهكذا فإن هذه العناصر الثّلاثة لا يمكنها أنْ تشكِّل كياناً قادراً على إنتاج الدّلالة ما لمْ تشتَغل مُجتمعةً ضمْن سيرورةٍ تجعل منْها علامةً

مكتفيَّة بذاتها . فخارج هذه السّيرورة لنْ تحيل الوقائع الموجودة في العالم الخارجيّ إلاّ على تجربةٍ فارغةٍ خاليةٍ من المفاهيم التي تمنحها بُعدها السّيميائيّ .[28]

وليس غريباً أنْ يركِّز الفكر اللّغويّ العربيّ نقاشاته على هذه القضايا ذاتها ، فطبيعة اللّغة وعلاقتها بعالم الأشياء ، كانتْ على الدّوام ، عنْد المهتمين بهذا الميْدان ، هي السّبيل إلى اِستيعاب المعاني وفهمها ثمّ تصنيفها ، « فقدْ شاع عنْد اللّغويّين والأصوليّين والفلاسفة وفقهاء اللّغة العرب أنّ الأشياء لها وجودٌ في الأعْيان ، ووجودٌ في الأذْهان ، ووجودٌ في اللّسان ... فالأوّل دالٌ على المرجع ، وهو ما حدَّد الوجود الموضوعيّ للشّيء ، ويشير الثاني إلى المدْلول أيْ المفاهيم ، أمّا الوجود الثّالث فهو ما يحيل على الدّال ، وهو أداتنا الأولى في التّعرُّف على الموجود خارج الذّات المدرِكة .» [29] وبهذه الكيفيّة عاملَ أغلب هؤلاء العلماء العلامة باعتبارها سلسلةً من العلاقات الدّاخليّة لا كياناً أحاديّاً.

لكنْ كيف يمكن تحديد هذه العلاقات التي تربط بين العناصر الدّاخليّة التي تشكِّل بنية العلامات ، هلْ منْ خلال ربط الدّال ببنياتٍ موجودةٍ في الواقع ، أمْ بصوَرٍ وتشكُّلاتٍ مجرّدةٍ يبلورها الذّهن البشريّ باعتبارها بدائل عامّة عن التّجربة المحسوسة ؟

يفْترض هذا الطّرح القَبول بالرّأي الذي يرى أنّ العلامة لا يمكنها أنْ تتَنَصّل عن المرجع كمكونٍ منْ مكوّناتها ، وبالتّالي وجب أنْ يُنظر إلى العلامة كوحدةً ثلاثيّة المبنى(دال ومدلول ومرجع) يعود إليها تحديد كنْه المعنى ورسم علاقته بمصادره الأولى التي أفرزتْ جميع التّشكلات الثّقافية التي تسع الوجود الإنسانيّ بأكمله . [30]

فإذا كان سوسير ، في تعريفه للعلامة ، يصرّ على استبعاد المرجع ويعتبره معطىً غير لسانيّ [31]، فإنّ بيرس يعاين المسألة برؤيةٍ مختلفة . فبناء العلامة يرتكز ، في تصوُّره ، على فكرة الامتداد التي تجعل من الكون ، بكلّ مكوناته ، وحدةً لا تنفصم عراها . « ويتخذ التّرابط بين العناصر الثّلاثة المكوّنة للعلامة ، [بحسب نظرته دائماً] ، الشّكل التّالي : أداة للتّمثيل ، تستدعي موضوعاً كشيءٍ للتّمثيل ، وتستدعي مؤوِّلاً كرباطٍ بين العنْصرين ، أيْ ما يوفِّر للماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكلٍ تامٍّ داخل الواقعة الإبلاغيّة :

مؤول

ماثول ..... موضوع » [32]

لقدْ أظهرتْ دراسة أوجدن وريتشاردز أهميّة المرجع في مقاربة إشكالية المعنى ، فحضور المرجع ضمن مكونات العلامة منْ شأنه أن يسهّل الاهتداء إلى الهيئة التي يتخذها الدّال ، ويبيّن نوع الرّوابط النّفسيّة التي بإمكانها أنْ تنشأ بين مكونات المثلّث السّيميائيّ : الدّال والمدْلول والمرْجع ، ذلك أنّ القاعدة التي تحكم مبْدأ العلامة والتي تتحكَّم في العلاقة التي تربط الدّال بمرجعه أوْ بمدلوله ، هي التي تحدِّد ما إذا كانتْ هذه العلاقة ذات طبيعة اعتباطيّةٍ أوْ تعليليّة ،إذْ لا نسجّل حضوراً للمرجع « في العلامات الاعتباطيّة ، بينما يكتسي حضوره ضرورةً مهمةً في العلامات التّعليليّة . فاللّزوم ظاهرٌ في الدّلالات الطّبيعيّة بين الدّوال والمدْلولات وفق علاقاتٍ استدلاليّةٍ لا يمكن أنْ يغيب فيها دور المرجع . » [33]

لكنْ هلْ بالضّرورة أنْ تكون العلامة ذات طبيعة اعتباطية أو تعليليّة خالصة حتى تكون قادرةً على الدّلالة ؟

إنّ وجود العلامات يفترض وجوداً مُسبقاً للوقائع والأشياء ، والاعتباطيّة في مفهومها البسيط هي غياب منطقٍ عقليٍّ يبرِّر الارتباط بين الدّال بمرجعه أوْ بمدّلوله [34] ،فهي على هذا الأساس ، علاقةٌ ذات طابع عرفيٍّ اتّفاقيٍّ متواضعٍ ومتعارفٍ عليه بين أفراد المجتمع الواحد ، يقول عبد السلام المسدّي « الشّرط فيها قيام الاصْطلاح حولها ، ولئنْ بدا بيّناً كيف يمكن لأحدنا أنْ يُواضع غيره على جُملةٍ من الأصوات إذا فاه بها دلّتْ على معنى يحدّدانه سلفاً ، أوْ تواضعه على أنّ صورةً مرسومةً بالخطّ إذا رفعها أفادتْ حيّزاً معيّناً ، وكذلك يجوز التّواضع على أشياء لا تكون قناتها السّمع كما في حالة التّصويت ، ولا البصر كما في حالة الصورة المرسومة خطّاً . » [35]

والاعتباطيّة مصطلحٌ له جذورٌ قديمةٌ تصل حتّى إلى أفلاطون وأرسطو ، وكما تكون حالةً بين الدّال ومرجعه ، تكون بالصفة ذاتها بين الدّال ومدلوله ، ذلك أنّ الفلسفة القديمة وكذا فلسفة القرون الوسطى أدْركتْ أنّ التّعالق لا يتوقف عند حدود ربْط الدّال بالشّيء الواقعيّ الذي يشير إليه ، وإنّما قد يُربط أيضاً بكيانٍ شفّافٍ لا ماديٍّ يفصله عمّا يحيلُ إليه مباشرةً ، يتعلّق الأمر بالمدْلول . [36] فالقضيّة ستتحوّل إذن إلى تحديد نوع هذا الارتباط سواءً كان بين الدّال ومرجعه أوْ بين الدّال ومدلوله .

ويدخل في نطاق الاعتباطيّة كلّ العلامات الاصطلاحيّة الموضوعة قصْد تحقيق مبدأ التّواصل ونقْل المعرفة للآخر التي يستقبلها مزوداً بالخبرة التي حصلتْ له من مُعايناته عنْ طريق حواسه لما يحيط به داخل هذا الكوْن الذي يعيش فيه .

والاعتباطيّة / الوَضْع هي أساس التّمثيل ، وإليها تستند الدّلالة ، لأنّ الاختِلاف داخل عناصر العلامة بين الدّال والموضوع الذي يرتبط به ، يُكسِب العلامة حساسيةً وقدرةً على إنتاج الدّلالة .[37]بهذه الكيفيّة تكون العلامات اللّسانيّة دالةً على المعاني بالتّعاقد الاجتماعيّ والمواضعة ، « فأكثر أهل النّظر على أنّ أصل اللّغة ، إنّما هو تواضعٌ واصطلاحٌ ... » [38] ولعلّ تعدّد الوُجوه التلفّظيّة والاستعمالات النّطقيّة واختلافها بين المجتمعات البشريّة ، هو ما يفسِّر تحكُّم الاعتباطيّة في اللّسان وتحديدها لطبيعته .

ولما كانتْ العلامات ذات الطّبيعة الاعتباطيّة التامّة تؤدّي العمليّة الدّلاليّة في أمثل صورةٍ لها ، الأمر الذي دفع بسوسير ، على الرّغم منْ إقراره بوجود أنساقٍ دالّةٍ قائمة على التّعليل ، إلى تعميم هذا المبدأ على بقيّة الأنساق السّيميائيّة الدّالة الأخرى ، بلْ لقدْ سوَّغ الأمر لبعض السّيميائيّين الآخرين منْ أمثال إيكو وغريماس نفيَ أيّ وجودٍ لغير العلامات الاعتباطيّة بعدما لاحظوا أنّ العلامات التي تتَّصف بالتّعليل ، ما هي إلا مجرد حساسيّةٍ ناتجةٍ عن الأثر الدّلالي . [39]

وعلى هذا الأساس ، لم يكنْ مبدأ الاعتباطيّة ليخصّ العلامات اللسانيّة وحدها ، بلْ هو شكلٌ عامٌّ يمكن أنْ يتّسع فينْسحِب على كامل الظّواهر النّاتجة عنْ الممارسة الإنسانيّة وعنْ تسنيناتها الاجتماعيّة ما دامتْ تشكِّل أنساقاً دالةً تتحكَّم في إنتاج المعرفة وتداولها بطريقةٍ لا تختلف عنْ الظّواهر اللّسانيّة ، « فكلّ وسائل التّعبير المتداولة داخل مجتمعٍ ما تستنِد مبدئيّاً إلى عادةٍ جماعيةٍ أوْ إلى عرف » كما يقول سوسير [40] ، وبالتّالي يجب التّعامل معها بنفس القواعد والقوانين التي تحْكُم اللّسان . [41]

وقدْ ارتكزتْ اللّسانيات الحديثة ، التي اِهتمتْ بأنساق اللّغات الطّبيعيّة ، على أساس هذه القاعدة [42] وارتبطتْ دراساتها على فحوى الاعتباطيّة ، فنظرتْ إلى اللّسان ، باعتباره أكثر أنساق التّعبير انتشاراً وقدرةً على التّدليل وتمثيل الخصائص السّيميائيّة ، على أنّه قائمٌ على خصّيصة التّواطُؤ والاصطلاح وليس على التّعليل (الطّبع).

تلك الخصّيصة التي تستطيع اللّسانيات بواسطتها أنْ تصبح الأنْموذج العامّ لكلِّ السّيميائيّات كما يرى رولان بارث [43] في توجّهه المخالف لتوجّه دي سوسير الذي يجعل من اللّسانيّات فرعاً عن السّيميائيّات [44] ، وذلك على الرغم منْ أنّ اللّسان لا يشكّل فيها سوى نسقٍ خاصٍّ ومُتميّز منْ جملة أنساقٍ سيميائيّةٍ عديدةٍ أخرى ، لكنّه أرْقى وأهمّ هذه الأنساق جميعاً ، وأكثرها شموليّةً وانسجاماً وقدرةً على تأويل كلِّ الأنساق الأخرى .[45]فهو أداتنا للتَّعرف على بنيات الأنساق الأخرى ومعرفة طرق اشتغالها ، وأداتنا إلى إدْراك دلالات الإيماءات وعلامات التّحيّة والعِبادات والشّعائر والعقائد وعلامات الفنّ بكلّ أشكالها وتنوُّعها (الموسيقى ، والرّسم ، والرّقص ، والتّصوير ، والفنون التّشكيليّة) [46] ، واللّسان في الأخير هو وحده الذي باستطاعته أنْ يكون في ذات الوقت أداة تواصل ويشتغل كنسقٍ يوضح نفسه بنفسه .[47]

وإذا كانتْ العلامة اللّسانيّة عند دي سوسير تقابل مفهوم الرّمز في السّيميائيّات الأمريكيّة ، فإنّ للرّمز ، كما تصوره ش. س. بيرس ، طابعاً عُرفيّاً تداوليًّا مرتبطاً بالاستعمال عنْ طريق المواضعات على اعتبار أنّه لا يوجد شبهٌ أوْ صلةٌ فيزيائيّة بينه وبين ما يحيل إليه . [48]

يقول هيجل : « الرّمز قبل كلّ شيءٍ دلالة ، لكنَّ العلاقة التي تقوم بين المعنى والتّعبير عند العرْض المحْض هي علاقةٌ تعسُّفيَّةٌ بحتة . فهذا التّعبير أوْ هذه الصّورة أوْ هذا الشَّيء الحسّيّ لا يمثِّل إلاّ في أدْنى الحدود ذاته ، لذا لا يوقِظ فينا بالأحْرى إلا فكرة مضمونٍ غريبٍ عنْه تماماً ولا جامع على الإطْلاق بينهما . » [49]

وقدْ تنبّه الفلاسفة والمناطقة العرب إلى الأبعاد الاجتماعيّة والتّداولية للتّسمية ووضْع الألفاظ التي يتبادلونها فيما بيْنهم في تواصلهم ، فعندما عمَدَ أبو حامد الغزالي إلى بيان منزلة الألفاظ في الوجود ، ذكر أنّ « للشّيء وجوداً في الأعْيان ، ثمّ في الأذْهان ، ثمّ في الألْفاظ ، ثمّ في الكتابة ... والوجود في الأعْيان والأذْهان لا يختلف بالبلاد والأمم ، بخلاف الألفاظ والكتابة فإنَّهما دالَّتان بالوضْع والاصْطلاح . » [50] وقد فسّر ابن جني الكيفيّة التي تتمّ بها التّسمية بعد أنْ أشار إلى أنّ الأصل في اللّغة المواضعة ، يقول : « وذلك أنّهم ذهبوا إلى أنّ أصل اللّغة لابدّ فيها من المواضعة ، قالوا : وذلك كأنْ يجتمع حكيمان أوْ ثلاثة فصاعداً ، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعْلومات ، فيضعوا لكلّ واحدٍ منْها سمةً ولفظاً إذا ذُكر عُرِف به مسمّاه ليمْتاز منْ غيره ، وليُغني بذكره عنْ إحضاره إلى مرآة العين ، فيكون ذلك أقرب وأخفّ وأسهل منْ تكلّف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله . » [51]

إنّ العلامات التي خضعتْ للعادة الاجتماعيّة فتلوَّنتْ بلوْن الاعتباطيّة في منح العلامات حياتها ، لا يمْكن لها أنْ تُفهَم خارج الإطار الذي يرتكز عليْه مبدأ المواضعة ، ولذلك كلّه قامتْ السّيميائيّات في أحد اتِّجاهاتها المرتكزة على اِعتباطية الدّليل على مقولة التّواصل(لويس بريتو ، إريك بيوسنس ، جورج مونان ، مارتيني ...) [52] . فلا سبيل لاستعمال العلامات وإدراك دلالاتها ، على هذا الأساس ، إلاّ إذا تقيّدتْ بقصدية الآداء وإرادة مستعملها والتزمتْ

بالمعطيات التّداوليّة التي يفترضها التجمّع الإنسانيّ . [53] ففي ظلّ غياب قصديةٍ صريحةٍ أوْ ضمنيّة ، بحسب هذا الاتّجاه ، لا يمكن للسّلوك أنْ يكـون دالاً أيْ مُدرَكاً باعتباره يحيل على معنى . [54]« فالقصْدية عندهـم هي المعيار الأساسيّ الذي تصنَّف على أساسه الظّواهر باعتبارها علاماتٍ أوْ باعتبارها معطىً بيولوجيّاً أوْ طبيعيّاً خالياً منْ أيّة دلالة . »[55]

وقدْ ذهب القاضي عبد الجبار المذهب ذاته في تأكيده على مبدأ القصْد والإرادة في التّسمية مُستدلاً في ذلك باختلاف مُسمّى الاسم الواحد بحسَب اللّغات لما اختلفتْ المقاصد فيه ، يقول : « اِعلمْ أنّ الاسم إنّما يصير اِسماً للمسمّى بالقصْد ، ولولا ذلك لمْ يكنْ بأنْ يكون اِسماً له أولى منْ غيره ، وهذا معلومٌ منْ حال منْ يريد أنْ يسمّي الشّيء باسم ، لأنّه إنّما يجعله اِسماً له بضربٍ من القصد. يبيّن ذلك أنّ حقيقة الحروف لا تتعلّق بالمسمّى لشيءٍ يرجع إليه كتعلّق العلْم والقدْرة بما يتعلّقان به ، فلابدّ منْ أمرٍ آخر يوجب تعلّقه بالمسمّى ، وليس هناك ما يوجب ذلك فيه سوى القصْد والإرادة . يؤكّد ذلك أنَّ الاسم الواحد قدْ يختلف مُسمّاه بحسب اللّغات لما اختلفتْ المقاصد فيه . فلولا أنّه يتعلّق بالمسمّى بحسب القصْد ، لمْ يصحّ ذلك فيه ، ولذلك يصحّ تبْديل الأسماء منْ مسمّى إلى سواه بحسَب القصْد . »[56]

لكنْ هلْ الاعتباط / القصْد كفيلٌ لوحده بإنجاز الدّلالة ؟

يذهب المنْتصرون لسيميائيّات الدّلالة (بارث ، غريماص ، إيكو) ، إلى أنّ اللّغة لا تستنْفِذ كلَّ اِمكانيات التّواصل ، فالتّواصل مستمِرٌّ ، « توفّرتْ القصديّة أمْ لمْ تتوافر ، بكلّ الأشياء الطّبيعيّة والثّقافيّة ، سواء أكانتْ اعتباطيةً أمْ غير اِعتباطية . لكنْ المعاني التي تستنِد إلى هذه الأشياء الدّالة ما كان لها أنْ تحصل دون توسّط اللّغة . فبواسطة اللّغة ، باعتبارها النّسق الذي يقطع العالم وينتج المعنى ، يتمُّ تفكيك ترميزيّة الأشياء . »[57]

إذا كانتْ العلامات الاعتباطيّة ترتبط دائماً بمصدر ما ، وتشكِّل جزءاً منْ نشاطٍ أُنتج بكيفيّةٍ واعيةٍ يقصد منْها تبليغ دلالةٍ أوْ توصيل رسالةٍ ما إلى كائنٍ ما اِستناداً إلى أعرافٍ بعيْنها (حالة اللّسانوالطقوس الاجتماعيّةوالإيماءات والرّسوم وغيرها) ، فإنَّ العلامات الطّبيعيّة (العلامة الطّقسيَّة ، طريقة المشْي ، طريقة اللّباس إلخ) يميّزها العفْوية ، وبالتّالي فهي خاليةٌ من أيّة قصْدية ، والإنسان وحده يمتلك القدرة على تأويلها ، اِستناداً إلى تجاربَ سابقة ، على أساس كونها وحدات منْ لغةٍ اتخذتْ لنفسها طابعاً تداوليًّا ، وعليْه يجب التّعامل معها بهذه الصِّفة . [58]

إنّ جانباً كبيراً من سلوكاتنا وملابسات حياتنا الفكريّة والاجتماعيّة ، في الواقع ، مرهونٌ بمجموعةٍ من العلامات الطّبيعيّة نؤوّل منْ خلالها الكوْن الذي نعيش بداخله باعتبارها عناصر اِتخذتْ لنفسها موقعاً داخل الفعل الإنسانيّ فكشفتْ عن دلالاتٍ متعلّقةٍ بنمَط عيشنا ، بلْ يمكننا القول أنَّ حياتنا بأسرها مرتبطةٌ أيّما ارتباطٍ بمثل هذه العلامات إلى الدَّرجة التي تجعل تغييب إحداها يؤثر على توازننا داخل المجتمع . ولأهميتها الخاصّة في حياة الإنسان اليوميّة ، جعلت غريماص يصنِّفها تصنيفاً خاصّاً عندما أدْرجها ضمن حقلٍ متميّزٍ داخل موضوع السّيميائيّات سمّاه : " سيميائيّات العالم الطّبيعيّ " ، يتعامل مع كلّ حدثٍ منْ طبيعةٍ ماديّةٍ على أساس كونه ظاهرةً دلاليّة . وتأسيساً على ذلك ، فإذا أردنا

أنْ نحدِّد موضوعاً للسّيميائيّات قلنا بأنّها ذلك العلم الذي لا يُقْصِر دائرة اهتماماته على نوعٍ خاصٍّ من الموضوعات ، وإنَّما يهتمّ بالموضوعات مهما كان نوعها شريطة قَبولها الإندراج ضمن فعلٍ تأويليّ . [59]

ولمْ يخرج الفكر العربيّ عنْ هذا الإطار عندما أكَّد بدوره على الخاصيّة الدّلالية للعلامة سواءً قصَدَ ذلك مُنشؤها أمْ لمْ يقْصد « ما دام المحيط الطبيعيّ والظّروف الاجتماعيّة والتّوجُّهات الثّقافيّة والإطار المعْرِفيّ العامّ مساعداً على ذلك» [60]

يقول أبو هلال العسكريّ في معرض حديثه عن العلامة والدّلالة : « يمْكن أنْ يُستدلّ بها ، أقصَد فاعلها ذلك أمْ لم يقْصد ، والشّاهد أنّ أفعال البهائم تدلّ على حدثها ، وليس لها قصْدٌ في ذلك ... وآثار اللِّص تدلّ عليه وهو لمْ يقْصُد ذلك ، وما هو معروفٌ في عرف اللّغويّين يقولون اِستدللْنا عليه بأثره وليس هو فاعلٌ لأثره عنْ قصْد . » [61]

ويقول الرّاغب الإصبهاني : « الدّلالة ما يُتوصَّل به إلى معرفة الشّيء ، كدلالة الألفاظ على المعْنى ، ودلالات الإشارات والرّموز والكتابة ، وسواءٌ أكان ذلك بقصْد ممَّن يجعله دلالة ، أمْ لمْ يكنْ يقصد . » [62]

يبدو أنَّ انعدام القصْد في العلامات غير الاعتباطيّة لا يؤثر على وجود الدّلالة وحضورها فيها ، إلا أنّ ما يمكن التّأكيد عليه هنا هو أنّ الاعتقاد بوجود علاماتٍ تعليليّةٍ / طبيعيّةٍ خالصةٍ بريئةٍ منْ كلّ قصدٍ يبقى يلفُّه الغموض؟

وإذا تأملنا في العلامات ذات الطبيعة التّعليليّة[63]مثل القرائن /المؤشّرات[64]والأيقونات[65]وحتى الرّموز[66] ، التي تحْتكِم إمّا إلى مبْدأ السّببيّة وقانون العليّة ، وإمّا إلى مبدأ المشابهة أو التّجاور مع مرجعها ، وإمّا إلى مبدأ التّعليل والسّيرورات العقليّة ، وإنْ كانتْ ترتبط منْ بعض الأوجه بالمرجع الذي يحدِّد هويتها ، وجدْنا للاعتباطيّة فيها بعض الحضور، ومنْ ثمّة لا يمكن إسقاط التّعليليّة المطلقة عليها بأيّ حالٍ من الأحوال . [67]

إنّ هذا الصّنف من العلامات قلَّما ميَّزته الطّبيعة التّعليليّة الخالصة لأنَّه يشتَغل وفْق عُرْفٍ يحكم صيغ إنتاجه ، يحدِّده الواقع والثَّقافة والاجتماع ، تتداخل فيه الاعتباطيّة بالتّعليليّة . فالعلامة الأيقونيّة مثلاً وإنْ ارْتبطتْ بمقولة المشابهة لموضوعها الذي تعيِّنه ، فكثيراً ما تخضع للشُّروط التّداوليّةفتتلوّن بألوان الاعتباطيّة . [68]

وكثيراً ما تقاطعتْ مثل هذه العلامات مع بعضها البعض وتبادلتْ الأدوار فيما بينها ، فأمْكن النّظر إليها أحياناً باعتبارها مؤشِّرات ، وأحياناً باعتبارها أيقونات ، وأحياناً أخرى باعتبارها علاماتٍ اعتباطيّة ، وذلك وفقاً للظّروفالمختلفة التي تجعل المعنى يتلوّن بالاستعمال ويتغيَّر بتغيُّر الشّروط الثّقافية ، وهكذا يمكن النّظر إلى « الصّورة التّاريخيّة التي تمثِّل لرجال الكومونة الذين تمّ إعدامهم إمّا باعتبارها تمثّل رمزاً اِعتباطياً للشّهداء الثّوريّين ، أوْ باعتبارها أيقونةً ، أوْ باعتبارها مؤشِّراً ، بمعنى الأثر الشّاهد على صدْقيّة حدثٍ تاريخيّ . » [69]

بلْ قدْ نجدها مُجتمعةً في المرسَلة الواحدة يعضُد بعضها بعضاً كما الحال مع الخطاب الإشهاري أين تلتقي العلامة اللّسانيّة مع الأيقونة والقرينة منْ أجل هدفٍ واحدٍ هو التّأثير على المتلقّي .[70]

هوامش المقال:

(1) ينظر: جيرار دولودال ، السيميائيات أو نظرية العلامات ، ص : 60-61 ، وينظر كذلك : أمبرتو إيكو ، العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه ، تر : سعيد بن كراد ، ص : 8 .

(2) ينظر : أمبرتو إيكو ، العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه ، ص : 8-9 .

(3) إريك كاسيرر ، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية ، ص : 200 .

(4) السّابق .

(5) ينظر: أحمد يوسف ،الدلالات المفتوحة ؛ مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، ص : 98 .

(6) ينظر : العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه ، ص : 9 .

(7) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، كتاب التعريفات ، ص : 139 .

(8) ينظر : العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه ، ص : 203 .

(9) Umberto Eco , Le Signe, P.151.

(10) العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه ، ص : 9 .

(11) ينظر : السيميائيات أو نظرية العلامات ، ص : 58 .

(12) والكون ، كما يقول بيركلي ، علامات تنتمي إلى لغة يحدثنا من خلالها الله عن العالم ، ينظر : العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه ، ص : 210 .

(13) ابن باجة ، التعاليق المنطقية ، تقديم وتحقيق : محمد إبراهيم ألوزارد ، ، ص : 36 ، نقلا عن الدلالات المفتوحة ؛ مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، أحمد يوسف ، ص : 32 .

(14) ينظر : الدلالات المفتوحة ؛ مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، ص : 54-55 .

(15) Benveniste ,Emile : Problèmes de linguistique Générale , P. 27 .

(16) ينظر : سعيد بنكراد ، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص : 29 .

(17) Voir : Umberto Eco , Sémiotique et philosophie du langage, P. 10 .

(18) البقرة / 72 .

(19) آل عمران / 190 .

(20) ينظر : أحمد حساني ، العلامة في التراث ، ص : 31 .

(21) ينظر : قادة لقاق ، مدخل إلى سيميائية العلامة في التّراث العربي الإسلامي ، ص : 43 .

(22) ينظر : إينو آن ، السيميائية ؛ الأصول ، القواعد ، والتاريخ ، تر: رشيد بن مالك ، ص : 28 .

(23) ص : 61 .ينظر: رولان بارث ، مبادئ في علم الدلالة ، تر : محمد البكري،

(24) سعيد يقطين ، نظرية السرد وموضوعها (في المصطلح السردي) ، ص : 48 .

(25) ينظر السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص : 19 .

(26) ينظر : الدلالات المفتوحة ، ص : 19 .

(27) ينظر : السيميائيات أو نظرية العلامات، ص : 95 .

(28) ينظر: السّابق ، ص : 37 ، 92 ، 258 ، 260 .

(27) ينظر : السّابق ، ص : 95 .

(28) ينظر: السّابق ، ص : 37 ، 92 ، 258 ، 260 .

(29) السّابق ، ص : 38 .

(30) ينظر : العلامة ، ص : 14 .

(31) Voir : De Saussure , Cours de linguistique generale, P. 98 .

(32) الخط المتقطع يشير إلى أن العلاقة بين الماثول والموضوع ليست مباشرة ، بل تمر عبر مؤول ،

السيميائيات أو نظرية العلامات ، ص 93- 94 .

(33) ينظر : الدلالات المفتوحة ، ص 84 ، 129 .

(34) Voir : Martinet , Jeanne : Clefs pour la Semiologie , P . 75 , et voir aussi : Baylon , Christian et Fabre , Paul : Initiation a la linguistique , P . 5 .

(35) اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص 32 .

(36) ينظر : العلامة ، ص : 226 .

(37) ينظر : الدلالات المفتوحة ، ص : 129 .

(38) الخصائص ، 1 / 40 .

(39) الدلالات المفتوحة ، ص 126 ، 128 .

(40) سوسير ، دروس في اللّسانيات العامّة ، ص : 101 .

(41) ينظر : السيميائيات أو نظرية العلامات ، ص : 80 ، 65 .

(42) ينظر : إميل بنفنيست ، سيميولوجيا اللغة ، ص : 14 .

(43) Voir : Barthes , Roland : Eléments de Sémiologie , P . 4 .

(44) Voir : Cours de linguistique générale , P . 33 .

(45) ينظر : العلامة ، ص : 90-91 ، 126 ، وينظر : سيميولوجيا اللغة ، ص 13- 14 ، وينظر كذلك ، العلامة ، ص : 18 .

(46) Voir : Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale ,pp.60-61 .

(47) ينظر : السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص : 63 -61 .

(48) ينظر : السيميائيات أو نظريّة العلامات ، ص : 110 .

(49) هيجل ، الفن الرمزي الكلاسيكي الرومانسي ، تر : جورج ترابيشي ، ص : 11 .

(50) معيار العلم ، ص : 75-76 .

(51) ابن جني ، الخصائص ، 1 / 44 ، وينظر كذلك في هذا الشّأن : الفارابي ، كتاب الحروف ، ص : 137-138 .

(52) التي لا تختص بالألسنة وحدها ، وإنما توجد أيضا في البنيات السيميائية التي تشكلها الأنواع الأخرى غير اللسانية ، ينظر: السيميائية ؛ الأصول ، القواعد ، والتاريخ ، ص : 35.

(53) ينظر : الدلالات المفتوحة ، ص :83 ، 107 ، وينظر كذلك : السيميائيات أو نظرية العلامات ، ص : 126 .

(54) ينظر : السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص : 20 .

(55) العلامة ، ص : 16 .

(56) القاضي عبد الجبّار ، المغني في أبواب التّوحيد والعدل ، تحقيق : محمود محمد الخضيري ، ج 5 ، ص : 160 .

(57) السيميائية ، الأصول ، القواعد ، والتاريخ ، ص : 35 .

(58) ينظر : العلامة ، ص 14 ، 64 .

(59) ينظر : العلامة ، ص : 65 ، وينظر كذلك : سيميولوجيا اللغة ، ص : 16 .

(60) قادة لقاق ، مدخل إلى سيميائية العلامة في التّراث العربي الإسلامي ، ص : 46 .

(61) أبو هلال العسكري ، الفروق في اللغة ، ص : 10 .

(62) المفردات في غريب القرآن ، مادة (دل) .

(63) التي ترجع بالأساس إلى السيرورات العقلية المتعلقة بالذّهن البشري بناء على العلاقة السببية الرابطة بين مكونات العلامات ، الدّخان سببه / معلل النار ، الأثر سببه / معلل بالمسير .

(64) علامات لها روابط فيزيائية مع المواضيع التي تحيل عليها ، وهي حالة الأصبع الذييشير إلى موضوع ما، وحالة دوارة الهواء المحددة لاتجاه الريح ، أو الدخان كدليل على وجود النار. ينظر : العلامة ، ص :

. 90

(65) هي علامات تحيل على مواضيعها وفق تشابه يستند إلى تطابق خصائصها الجوهرية معبعض خصائص هذا الموضوع ، وهكذا فإن الصورة الفوتوغرافية هي علامة أيقونية ، وكذلك الخرائط الجغرافية ، والرسم البياني . ينظر : العلامة ، ص : 90 .

(66) بوصفها علامات مخصوصة تضطلع بالجمع أو التّقريب بين شيئين إنْ بحكم علاقة المشابهة الطبيعية ، وإنْ بحكم قرار المواضعة الاجتماعية . ينظر : الدلالات المفتوحة ، ص : 97 .

(67) ينظر: الدلالات المفتوحة ، ص : 127 ، وينظر كذلك :السيميائيات أوْ نظريّة العلامات ، ص: 51- 52.

(68) ينظر : العلامة ، ص : 99 .

(69) العلامة ، ص : 95 .

(70) ينظر : الدلالات المفتوحة ، ص : 108 .

بيبليوغرافيا المقال

ابن جنّي ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار ، المكتبة العلمية ، د . ط ، د . ت .

الإصبهاني ، الرّاغب ، المفردات في غريب القرآن ، مادة (دل) .

إيكو ، أمبرتو ، العلامة ؛ تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بن كراد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 2007 .

إينو ، آن ،السيميائية ، الأصول ، القواعد ، والتاريخ ، تر: رشيد بن مالك ، دار مجدلاوي للنّشر والتوزيع، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008 .

بارث ، رولان ، مبادئ في علم الدلالة ، تر : محمد البكري ، دار قرطبة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1986 .

بنفنيست ، إميل ، سيميولوجيا اللغة ، تر: سيزا قاسم ، في مدخل إلى السيميوطيقا، ج 2 ، ط2 ، الدار البيضاء.

بنكراد ، سعيد ، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط2 ، 2005 .

الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ،كتاب التعريفات ، تح : إبراهيم الأبيار ، دار الكتاب العربي ، 1992 .

حساني ، أحمد ، العلامة في التراث ، تجليات الحداثة ، ع2 ، 1993 .

دولودال ، جيرار ، السيميائيات أو نظرية العلامات ، ترجمة : عبد الرحمن بوعلي ، دار الحوار للنّشر والتّوزيع ، اللاذقية ، ط1 ، 2004 .

عبد الجبّار ، القاضي ، المغني في أبواب التّوحيد والعدل، تحقيق : محمود محمد الخضيري ، القاهرة ، 1965 ، ج 5 .

الغزالي ، أبو حامد ، معيار العلم في فنّ المنطق ، دار الأندلس ، بيروت ، 1981 .

الفارابي ،كتاب الحروف ، تحقيق : محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، 1970 .

كاسيرر ، إريك ، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانيّة ، ترجمة : إحسان عبّاس ، دار الأندلس ، بيروت .

لقاق ، قادة ، مدخل إلى سيميائية العلامة في التّراث العربي الاسلامي ، الصّوتيات بين التّراث والحداثة ، الملتقى الوطني الأوّل ، قسم اللّغة العربيّة وآدابها ، جامعة البليدة ، 1999 .

المسدّي ، عبد السّلام ، اللّسانيات وأسسها المعرفيّة ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 .

هيجل ، الفن الرّمزي الكلاسيكي الرومانسي ، تر : جورج ترابيشي ، دار الطليعة ،بيروت ، ط2 ، 1986 .

يقطين ، سعيد ، نظرية السّرد وموضوعها(في المصطلح السّردي)، مجلة علامات ،المغرب ، ع 6 ، 1996 .

يوسف ، أحمد ، الدلالات المفتوحة ؛ مقاربة سيميائيّة في فلسفة العلامة ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2005 .

Barthes, Roland ; Eléments de Sémiologie , Dans Communication , N 4 .

Baylon, Christian et Fabre ; Paul : Initiation à la linguistique , Armand Colin , 2ème édition .

De Saussure, Ferdinand ; Cours de linguistique générale , Payotheque , Paris , 1972 .

rale ,2 , ed Gallimard .1974.énémes de linguistique gè Benveniste, Emile ; Probl-
miologie , ed . Seghers , Paris , 1975. é Martinet , Jeanne ; Clefs pour la S-
Eco, Umberto ; Le Signe , éd.Labor , 1984 . -
miotique et philosophie du langage , éd. PUF, 1988 . é Eco, Umberto ; S-